

المتن

*وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمائل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.
-أما السمع: فمنه قوله تعالى: "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" [طه: 110]

الشرح

وإذا كنا لا نحيطُ به علمًا ؛ فكيف يُمكن أن نُكَيِّف صفاته؟؛ لا يمكن أن نُكَيِّف صفاته إلا إذا أحطنا به علمًا؛ وإلا كنا كاذبين وقائلين بغير الحق.

المتن

وقوله: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا" [الإسراء: 36] ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيةها، فيكونُ تكييفنا قفوا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

-وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله - عز وجل - فوجب بطلان تكييفها.

الشرح

هذه القاعدة مهمة جدًا ، وهي : أن الشيء لا تُعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بأحد ثلاثة أشياء:

أولاً: العلم بكيفية ذاته.

ثانياً: العلم بنظيره المساوي له.

ثالثاً: بإخبار الصادق عنه.

وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله تعالى.

*فمثلاً : إذا قلنا بأن لله سماعاً ، فإننا لا نستطيع أن نُكَيِّف هذا السمع؛ لأنك لا تستطيع أن تعرف كيفية ذات الله فكذلك كيفية سماعه.

ليس لله تعالى نظير حتى تعرف سمع الله بمعرفة سمع نظيره ولم يخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم - بذلك بكيفية سماعه ، فتوقف علمنا بكيفية هذه الصفة وغيرها من الصفات عند مجرد إثباتها.

*مثال آخر : **"لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ"** [الفرقان: 59] ؛ لا يمكن أن نعرف كيفية الاستواء ، لأننا لم نعرف كيفية ذات الله ، وليس هناك نظير استوى على شيء مثل العرش حتى نعرف كيفية استوائه عز وجل ، ولم يخبرنا الله عز وجل بكيفية استوائه على العرش ، ولهذا قال بعض العلماء:

إذا قال لك الجهمي كيف استوى الله على العرش ؟ فقل له: إنَّ الله أخبرنا أنه استوى على العرش ؛ ولم يخبرنا كيف استوى.

وقال بعضهم :إذا قال لك كيف استوى ؟ فقل له: كيف هو بذاته ؟ فسيقول: لا أعرف

كيفية ذاته. فقل له: إذن لانعرف كيفية صفاته؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات.

المتن

وأيضاً فإننا نقول: أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟
إن أي كيفية تقدرها في ذهنك، فالله أعظم وأجل من ذلك.
وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذباً فيها؛ لأنه لا علم لك بذلك.

الشرح

صحيح هذا إيرادٌ مُفحّمٌ. نقول:

1-أولاً: أي كيفية تُقدرها لصفات الله، فالله أعظم وأجل مما قدرت . فمثلاً أي كيفية تُقدرها لاستواء الله على العرش، فاستواء الله في حقيقته أعظم وأجل مما قدرت، فلا يمكن لذهنك أن يفرض استواءً كاملاً استواءً كاملاً على أكمل ما يكون من الاستواء إلا والله أعظم من ذلك. وكذلك نقول في صفة الوجه وصفة اليد وما أشبهها.

2-ثانياً: أي كيفية تُحددها في صفات الله فانت كاذبٌ فيها قطعاً ؛ لأنه ليس عندك علمٌ بهذا إطلاقاً ، لأن الله تعالى ما أخبرنا عن كيفية تلك الصفات ، فأَيُّ كيفية تقدرها نكون فيها كاذبين.

فمثلاً: "صفة الكلام"؛ فإننا نعلم أن الله سبحانه وتعالى- يتكلم ونعلم المتكلم به ، ولكن كيف يتكلم الله؟ الله أعلم. كيف صوته بالكلام؟ الله أعلم. مانعرف.
الآن مثلاً الطيور تنطق والإنسان ينطق؛ هل النطق سواء؟ ماهو سواء.
"عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ" [النمل:16]. ماكل أحدٍ يعرف منطق الطير ، بل إنك أنت العربي

تتكلم والعجمي يتكلم هل كيفية أدائك للحروف ككيفية أدائه للحروف؟ أبدأ. وأعني بالعجم هنا من ليس بعربي وأما العجم معروفون فعجم فارس الآن حروفهم حروف عربية لكن تختلف في الترتيب.

المتن

وحيث يجب الكف عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقديرًا باللسان، أو تحريًا بالبنان. ولهذا لما سئل مالك - رحمه الله تعالى - عن قوله تعالى: **"الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"** [طه: 5]، كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرَّحَضَاءُ (العرق) ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة." وروى عن شيخه ربيعة أيضًا: "الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول". وقد مشى أهل العلم بعدها على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتهى عنه الدليلان العقلي والشرعي فوجب الكف عنه. فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته، فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى **"وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"** [فصلت: 36].

الشرح

هذا الكلام من مالك - رحمه الله - و شيخه ربيعة؛ ميزان لجميع الصفات، فإذا قال قائلٌ مثلاً: إن الله سبحانه وتعالى - ينزل إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ فنقول:

النزولُ غيرُ مجهول، والكيفُ غيرُ معقول، والإيمانُ به واجبٌ ، والسؤالُ عنه بدعة. وإذا تأملنا قوله: "الكيفُ غيرُ معقولٍ" فإنه يدل على إثبات كيفية لكنها غير معقولة، وليس كما قال بعضهم: إنه يدل على أنه نفي الكيفية كلها، لأن نفي الكيفية كلها نفي للوجود ، إذ ما من موجود إلا وله كيفية، وعلى هذا فيكون معنى كلام مالكٍ رحمه الله وغيره من السلف في نفي الكيفية ؛ المراد به نفي التكييف لا أصل الكيفية.